الحرية في الحدود السياسية عند كانط

*ميرنا كنجو ** محمود محمد

(الإيداع : 4 آب 2019 . القبول 21 تشرين الاول 2019)

الملخص

هدف البحث الحالي إلى الكشف عن مفهوم الحرية السياسية في فلسفة كانط مع تأكيد أن الحرية عند كانط هي وثيقة الصلة بالأخلاق و إلقاء الضوء على دور الحرية السياسية للأفراد في تحقيق السلام في المجتمع.

وتمّ اتباع المنهج الوصفي التحليلي الفلسفي لأهم كتب كانط (نقد العقل العملي)و(نقد العقل المجرّد)و(مشروع السلام الدائم)، وعرض أهم المفاهيم ذات الصلة بالحرية كالفضيلة والحق والعقل.

وأظهرت نتائج البحث أن الحرية في الفكر الكانطي هي المفتاح لتحقيق السلام في المجتمع للدولة الواحدة وبين الدول المختلفة ، عن طريق الفضيلة، وأن اثبات الحرية السياسية بين الأفراد هو ما يحقق الدولة؛ بالإضافة إلى إن جوهر الحرية السياسية يرتبط بشكل وثيق في وجود نظام جمهوري في الدولة، يحترم القانون.

الكلمات المفتاحية: الحرية السياسية.

*طالبة ماجستير في قسم أصول التربية–كلية التربية–جامعة دمشق

**أستاذ مساعد في قسم أصول التربية–كلية التربية–جامعة البعث

Freedom in political borders at Kant

* Mirna Kanjo ** Dr. Mahmoud Mohamed

(Received : 4 August 2019 , Accepted: 21 October 2019)

Abstract:

The aim of the current research to uncover the concept of political freedom in Kant's philosophy is to assert that Kant's freedom is closely related to ethics and shed light on the role of political freedom for individuals in achieving peace in society.

The analytical descriptive method was followed for the most important books of Kant (criticism of the practical mind), (criticism of the abstract mind) and (the project of permanent peace). And to present the most important concepts related to freedom such as virtue, truth and reason.

The results of the research showed that freedom in Cantonese thought is the key to achieving peace in the society of one state and between different countries. Through virtue and proving political freedom among individuals is what the state achieves.

In addition, the essence of political freedom is closely linked to the existence of a republican system in the state. and respects the law.

Keywords: Political Freedom.

المقدمة:

إن إشكالية الحرية هي بلا ريب من أقدم الإشكاليات الفلسفية وأعقدها،فقد واجهت الباحثين من قديم الزمان،ومابرحت تؤرق مفكري اليوم كما أرقت من قبل فلاسفة اليونان،اكتسبت أهمية جديدة في الفلسفة المعاصرة، حيث قد يمكن أن نعدها مفتاح المشكلات الفلسفية جميعا،والواقع أن مشكلة الحرية بالذات هي أكثر المسائل الفلسفية اتصالا بالعلم والأخلاق وعلم الاجتماع والسياسة. فالحرية ليست مجرد كلمة عابرة في قاموس،بل هي فعل ثم قول، فكم من الدول قامت بالحروب لأجل الحفاظ على هذه الكلمة وقداستها.

وإذا رجعنا إلى نظريات الفلاسفة المختلفين في الحرية،فقد يكون في وسعنا أن نجد لهذه الكلمة أربعة مفاهيم مختلفة منها:حرية الاختيار القائمة على الإرادة المطلقة،هناك حرية الكمال أو الحكيم،ثم هناك من يعرفها عن طريق العلة السيكولوجية،وأخيرا الحرية الأخلاقية أو حرية الاستقلال الذاتي وهي التي تعنينا في بحثنا،وأشهر روادها الفيلسوف الكبير إيمانويل كانط.

إن فكرة الحرية تحتل الصدارة في الفلسفة الكانطية فهي تضمن وحدة وتماسك المذهب النقدي لكانط ، ففلسفة كانط تمنح للحرية عدة مفاهيم زيادة إن أخذنا بعين الاعتبار كل النصوص التي كتبها كانط نجد أنها تعطي معاني متعددة لكي نصل إلى إعطاء معنى موحد و تمنح لها تخصصا ودورا واحدا.

مشكلة البحث :

هناك سؤال يدفعنا إلى طرح إشكالية رئيسية هو :

ما مفهوم الحرية السياسية في فلسفة كانط النقدية؟

إنه سؤال نقترح الإجابة عنه من خلال تعرضنا إلى المعاني المختلفة التي يعطيها كانط للحرية من خلال كتبه الرئيسية (نقد العقل الخالص،ميتافيزيقا الأخلاق،العقل العملي،نقد ملكة الحكم،الدين في حدود العقل وحده ومشروع السلام الدائم) للوصول إلى نتيجة ترضينا فيما يتعلق بطبيعة الحرية السياسية عند كانط .

أسئلة البحث:

نقترح مجموعة من أسئلة افتراضية تساعدنا على حل الإشكالية :

١– ما معنى الحرية في حدود العقل الخالص الأكثر أهمية؟ فهل الحرية فكرة للعقل مستقلة عن التجربة؟

٢– هل الحرية العملية هي التي تعطي للحرية حقيقة واقعية موضوعية؟

3– ما علاقة الحرية بالفضيلة داخل المجتمع؟

4– ما دور الحرية السياسية للأفراد في تحقيق السلام في المجتمع وبين الدول الأخرى؟

5–ما صفات الدولة المتمتعة بالحرية السياسية بنظر كانط؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

1–أهمية الحرية في حياتنا،لطالما شكلت جاذبا للفلاسفة والمربين والمفكرين على مر العصور ، حيث تسهم في توجيه الفرد بما يحقق مصالح وطنه ويجعله فاعلا فيه.

2–تدور هذه الدراسة حول فكرة الحرية في حدودها السياسية عند فيلسوف يعدّ من أبرز فلاسفة القرن الثامن عشر،فيعتبر كانط آخر فلاسفة عصر التنوير.

3–توجيه نظر المهتمين إلى ضرورة اعتماد أفكار كانط في الحرية في سبيل بناء المجتمع المدني العادل والحرّ.

4–تفيد الدراسات البحثية اللاحقة للرجوع إليها في الكشف عن أهم الأفكار المستند عليها في مجال الحرية السياسية .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1-التعرف على الملامح العامة للحرية في فلسفة كانط كأحد أهم فلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوربية الحديثة.

2- توضيح معنى الحرية في حدود العقل الخالص.

3- تحديد نوع الحرية التي تطالب بها ميتافيزيقا الأخلاق المماثلة للإرادة المستقلة.

4- الكشف عن علاقة الحرية بالفضيلة داخل المجتمع.

5- إلقاء الضوء على دور الحرية السياسية للأفراد في تحقيق السلام في المجتمع وبين الدول الأخرى.

منهج البحث:

بقصد التيقن من معالجة موضوع البحث كان علينا الرجوع إلى نصوص كانط الفكرية فيما يتعلق بفكرة الحرية،من أجل الوصول إلى اكتشاف الحقائق التي تخفيها فلسفته النقدية ،كذلك لجأنا إلى استعمال المنهج التحليلي القائم على التحليل و المقارنة ثم إعادة تركيب الأفكار للوصول إلى نتيجة مقنعة للإشكالية المطروحة،ولو أنه من الصعب الوصول إلى جواب مقنع نتيجة للمعاني المختلفة التي يضفيها كانط على الحرية،حيث أنها تعرف نفسها بمظاهر مختلفة من خلال كتبه الرئيسية.

الدراسات السابقة:

1-دراسة جيدوري(1995)بعنوان: "الحريّة في بعض فلسفات التربية المعاصرة" :

هدفت الدراسة لمعرفة تصور بعض الفلسفات المعاصرة(البراجماتية والوجودية والماركسية) لموضوع الحريّة على الصعيد الفلسفي،وانعكاسات هذا الموضوع على الفكر التربوي،استخدم الباحث منهج التحليل الفلسفي القائم على التحليل والتركيب،وقد سارت الدراسة وفق خطوات تمثلت في تحديد الإطار العام للدراسة،وتوصل الباحث إلى أن القمع يؤثّر بشكل سلبي على سير العملية التعليمية في تحقيق الأهداف المنشودة.

2-دراسة محمد(1997) بعنوان: "الحرية في التربية عند جان جاك روسو"

هدفت الدراسة التعريف بروسو وبالظروف السياسة والاجتماعية والاقتصادية التي أحاطت به،وأبرز الصلة بين الحريّة السياسيّة والحريّة في التربية في فكر روسو.

اتبع الباحث منهجا علميا استخدم فيه طريقة العرض والتحليل والتفسير النقدي لأفكار روسو المستخلصة من مؤلفاته السياسيّة والتربويّة.

وتوصل الباحث في النهاية إلى الإقرار بالقيمة الفائقة لأفكار روسو العقلانية في ميدان الحريّة في التربية والتي جاءت لتقرر حق الأطفال في تربية حرة كريمة.

3-دراسة فقيهي(2011)بعنوان:"مفهوم الحريّة" :

هدفت الدراسة تقصي مفهوم الحريّة منذ ظهور الفكر الهيوميروسي مرورا بالفلسفة اليونانية ،ثمّ بالفكر المسيحي والفكر الإسلامي،وفي الفلسفات الحديثة والمعاصرة،وتناولت بالتعريف المصطلحات ذات الصلة بمفهوم الحريّة : كالجبر والإرادة والمسؤولية والليبرالية، ثمّ بحث الباحث بالآثار الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمفهوم الحريّة وأنهى بحثه بنقد لتلك الآثار.

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في بحثه وختمه بالمنهج النقدي بعرض ضوابط المفهوم المدروس ونقد آثاره على الفرد والمجتمع.

ومن أهم نتائج البحث:

–الحريّة الاعتقادية متروكة لكلّ إنسان في شرعة القرآن.

–تضمنت الشريعة الإسلامية آلية لحفظ الحقوق والحريّات الإنسانية.

–من أهم خصائص النظام السياسي في الإسلام إقامة العدل والمساواة في الحقوق والواجبات ،ومنع الظلم والتعدّي والاستبداد.

4–دراسة كيمابانيو(2003) بعنوان:"دراسة تحليلية لمفهوم الحريّة في الفلسفة البوذيّة"

هدفت الدراسة على تعرّف مفهوم الحريّة في الفلسفة البوذية،واتبعت الدراسة المنهج المسحي على بعض العلماء والفلاسفة في الصين.

وكانت النتائج:

–للحرية في الفلسفة البوذيّة معنيان: **الأول:** أنها وسيلة أو طريقة للتصرّف من دون عقبات أو عوائق،ويمكن استخدامها من خلال القدرة على اختيار طريقة للحياة في حد ذاتها،ولا تسيطر عليها أي سلطة.

الثاني:الحرية هدف أو نتيجة لفعل تترتب عليه سعادة الانسان،وأن للحرية أربعة جوانب: مادية،اجتماعية، عاطفية،فكرية.

–طبّقت الحرية في الفلسفة البوذية لمزيد من التنمية،وانشاء طريق الكلمة والفكر من خلال العمل.

–هناك فروق في تطبيق الحرية على الحق والواجب والمساواة والديمقراطية.

5–دراسة سابيرو (2006)بعنوان:"المسؤولية والحرية:أساسيات مفهوم سارتر في المشاركة الفكرية".

هدفت الدراسة إلى فحص التوتر القائم بين المسؤولية الذاتية والمسؤولية الموضوعية،وكانت عينة الدراسة مجموعة من الأبحاث والمقالات والكتابات المتعلقة بمفهوم الحرية والمسؤولية والوجودية ونظرية المشاركة الفكرية لدى سارتر ،واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الفلسفي.

وكانت النتائج كالتالي:

–مفهوم الحرية مرتبط جزئيا بمفهوم المسؤولية والشعور بها.

–إن المستوى الأعلى للحرية عند سارتر يسمى الحرية الإبداعية،فالكتابة هي فعل إبداعي يتطلب امتلاك الكاتب للمهارات الفكرية الضرورية ذات المستوى العالي.

موقع البحث الحالي من الدراسات السابقة:

على الرغم من تشابه البحث الحالي مع الدراسات السابقة في رصد مفهوم الحرية كدراسة (محمد،1997) و(كيمابانيو،2003) إلا أنها تختلف عنها في رصد الحرية السياسية تحديدا ،وعند فيلسوف كان الملهم الأعظم لها.

أولاً :ماهية الحرية

المعنى البدائي للحرية:الإنسان الحر هو الذي لا يخضع للعبودية أو الإنسان غير السجين،الحرية هي حال الإنسان الذي يفعل ما يريد،وليس مايريده الآخرون،هي انعدام القسر الخارجي ،ومن هذا المعنى نستمد ثلاثة معاني أساسية وهي:المعنى العام،المعنى السياسي والاجتماعي،المعنى الخلقي والنفسي .(لالاند،2001،726)

المعنى العام:الحرية خاصية الموجود الخالص من القيود،العامل بإرادته أو طبيعته .

المعنى السياسي والاجتماعي:هناك الحرية النسبية والحرية المطلقة .(لالاند،2001،726)

1-الحرية النسبية:هي الخلاص من القسر والإكراه الاجتماعي والحر هو الذي يأتمر بما أمر به القانون ويمتنع عما نهى عنه .

2-الحرية المطلقة:حق الفرد في الاستقلال عن الجماعة التي انخرط في سلكها،وهناك الحرية المدنية التي تعني استمتاع الأفراد بحقوقهم السياسية واشتراكهم في إدارة شؤون بلادهم(لالاند،2001،726)

3–المعنى النفسي والخلقي:الحرية مضادة للاندفاع اللاشعوري ، والجنون و اللامسؤولية القانونية والخلقية،وفي هذه الحالة دلت هذه الحرية على حالة شخص لايقدم على الفعل إلا بعد التفكير فيه وتسمى هذه الحرية بالحرية الأدبية والخلقية.(صليبا،1978،461)

والحرية كما يراها فولتير هي القدرة على الفعل و ليس القدرة على التفكير فيقول: قلت لكم إن حرية الإنسان تكمن في قدرته على الفعل و ليس في القدرة الخيالية لإرادة ما يريد، وكان يردد القول"الحرية هي أن تكون مستقلا ". فأين هي الحرية في كل هذا المعنى؟ إنها في قدرة عقلنا،في قوة إرادتنا على الحياة.(Benda ,1948,245)

ويقول فيخته: إن الكائن العقلاني هو الكائن الوحيد الذي يمكن أن نعتبره كائنا مستقلا ، تأسيس مطلق لنفسه ،ويردد شلنج " أن تكون حرا هو أن تحقق المثالي في الحقيقي ، أريد أن أكون حرا يعني أريد أن أعمل لنفسي بنفسي ما يجب أن أكونه "،و ينتهي فيخته أيضا بالقول : " أن تكون حرا هو شيء جيد ، أن تصبح حرا هي السماء بنفسها.(زيدان،1967،6)

وفي هذا نجد أن هناك رأيين في معنى الحرية،الأول يذهب إلى أن الانسان مجبر في أفعاله لأنه مقّيد وهذا التقييد له أسبابه الخارجية كالعنف الذي يمارسه المجتمع على المواطنين،والرأي الثاني يذهب إلى أن الانسان حرّ طالما أن أفعاله تصدر عن عقله دون المساس بحريّة الآخرين.

ثانياً:**العقل والحرية عند كانط**

إن سبب الحياة عند كانط نجدها في العقل نفسه ،فالعقل لا يعتبر فقط ملكة للتحليل، يكون عمليا إذا استطاع أن يحدد قوانين الإرادة ويؤسس حرية العالم،وحسبه يجب أن نعامل الإنسان بطريقة نحترم بها حريته وكرامته.(Delbos,1969,36)

وهناك قول يحب كانط ترديده دائما(لإيقاظ العقل يجب أن نعلمه التفكير بأنفسنا،أن نبحث بأنفسنا أن نطير بأجنحتنا،وأعلّم الطلبة أن لا يتعلّموا أي فلسفة كانت،ولكن نعلمهم كيف يجب أن يتفلسفوا. (Delbos,1969,36)

إن كانط في رحلته الخلقية يجعل كل من يسافر معه يكتشف أنه يؤمن بقدرة العقل،والحرية عنده فوق كل اعتبار ،إنها العمود الذي ترتكز عليه التربية الخلقية والدينية،إنه يبحث على الحرية في محتوى القانون الخلقي، والالتزام بالواجب أمر ضروري لتحديد هذا المصطلح.(30 , 1973, Kojève)

ويتضح لنا أن العقل بما أنه تكون عن طريق النقد يجب ألا نخاف من الحقيقة،ولا نخاف من فرض رأينا على الآخرين في المسائل المعرفية عن طريق حجج منطقية تقنعهم،بما أن معارفنا مستمدة أصلا من تفكير نقدي.

ثالثاً:**الحرية العملية**

هل هناك تناقض في تصور الحرية ؟ لما كان كل ما في الطبيعة يفعل وفقا للقوانين،فالكائن العاقل هو وحده الذي يستطيع أن يفعل وفقا تصوره لهذه القوانين،أي تبعا لمبادئ،لأنه هو وحده الذي له إرادة،ولما كان العقل ضروريا لاستصدار الأفعال من القوانين فإن الإرادة ليست شيئا آخر غير العقل العملي.(Allison,1990, 54)

إن الفلسفة العملية الكانطية تكونت كلها على أساس الأمر المطلق الذي لديه علاقة مباشرة مع الفكرة المتعالية للحرية عن طريق مفهوم استقلال الإرادة،لقد وجدت في هذه العلاقة المبدأ الأساسي لنظامها و تطور نسقها. (Allison,1990, 54) .

إن مشكلة الحرية التي تفرض نفسها على الأفكار الميتافيزيقية للإنسان وهي من بين الإشكاليات التي لا يستطيع العقل أن يتفاداها إلى جانب كل من مشكلة الله وخلود النفس،والعلم الذي يجعل هدفه النهائي حل هذه الإشكاليات نسميه الميتافيزيقا،ولكن فشل الميتافيزيقا أرغم الإنسان أن يسأل حول مصيره و معنى حياته بدون جدوى لأنه لم يجد الأجوبة المقنعة لأسئلته.

لذلك فإن مشروع كانط هو أن ينقذ الميتافيزيقا ومعها كل شيء يتعلق (بالله ، الحرية وخلود النفس)،لقد أراد أن ينزع التناقض الموجود بين الطبيعة و الحرية .

رابعاً:**نظرية الحق و الحرية عند كانط**

إن الفعل السياسي والمشاكل التي تصدر عنه كانت محل اهتمام الفلاسفة،وقلّ من لم يتطرق إليها، وكانط له وجهات نظر في هذا المجال،بما أنه يتحدث عن الدولة،الحرب،السلام، نظرية الحق والقانون في كتابين رئيسيين: ميتافيزيقا الأخلاق، ومشروع السلام الدائم. (شولتز،1975،165)

فالنظرية الخلقية للواجب تستلزم ضرورة نظرية في القانون (الحق)، وفلسفة الأخلاق بما أنها فلسفة في الواجب تحيلنا مباشرة إلى فلسفة الحق،وهذه تعالج مسألة الحرية من حيث هي مبدأ حياتي وقدرة على الاختيار في وضعها الاجتماعي وطرحها السياسي. (شولتز،1975،165)

فالحق يعالج الجانب الخارجي للحرية وصورته هي طبقا للعدالة،حيث يقدم قانون الأخلاق المعيار،دون أن يتسنى له أن يمنع كون الفعل الصادر وفقا للحق والقانون لا يصدر عن واجب، غير أن الحق يكتفي بممارسة ذاته، بتحديد الحريات وتقييدها من خلال بعضها البعض،على صعيد التقابل من أجل أن يصبح ممكنا قيام حياة مشتركة بين الأشخاص استنادا إلى قاعدة الأمر القطعي المطلق،فالحق هو المفهوم الشامل للشروط التي يمكن في ظلها أن يحدث الجمع والتوحيد بين تعسف الواحد وتعسف الآخر بحسب قانون الحرية. (شولتز،1975،165)

فإذا كان المبدأ الأقصى لكل قانون أخلاقي هو احترام الإنسان واعتباره دائما غاية في ذاته،فإن التشريع الخارجي للواجب هو الذي يضبط ضبطا صارما هذه الكرامة ويحفظ حرية الإنسان كقدرة على الاختيار من انحرافات ومبادئ الرغبة والأهواء.

ويرى كانط أن قوانين الحرية كلها أخلاقية وكل واجب من حيث هو واجب ينتمي إلى الأخلاق أولا وثانيا فهو دائما خارجي.(Droit,1971, 94- 95)

خامساً:**الفضيلة والحرية**

إن كانط يتعرض في القسم الثاني من كتاب ميتافيزيقا الأخلاق للدوافع التي تؤثر في الحرية الداخلية والكفيلة وحدها بأن تضفي على الفعل مرتبته الأخلاقية وعليه فإن الفضيلة التي تستند إلى القانون الخلقي هي مثل الأمر المطلق كونها معيارا (عاما)مقابل الحق (القانون) الذي يتقسم إلى سنن عديدة لديها علاقة مباشرة بالحريات الفردية،لكن قانون الفضيلة يعرف وصايا أخرى. (Kant,_,48)

يقول كانط في النظرية العامة للواجبات:إن الجزء الذي يتعلق بخضوع الحرية الباطنية وليس الخارجية للقوانين هي نظرية الفضيلة،بينما كانت نظرية الحق تبحث في الشرط الضروري للحرية الخارجية ،والمتمثل في اتفاق الحرية مع نفسها عندما تكون مسلماتها قوانين شمولية،كانت نظرية الفضيلة تضيف إلى شمولية القوانين اعتبار هذه القوانين غايات ضرورية بصفة موضوعية. (Kant,_,48)

وواجبات الفضيلة يحددها كانط في ميدان الكمال الذاتي وما يترتب عليه من واجبات متنوعة و مبدأ سعادة الآخرين وما يترتب عليه من واجبات مختلفة ،ولا يهمنا أن نعرض جميع الواجبات و إنما علينا أن نفهم فقط المبدأ العام الذي يحدد السلوك الفاضل وهذا المبدأ ينص على أن واجب الفضيلة يأمر بأن نعتبر حق الناس شيئا مقدسا ومطلوبا لذاته . (Kant,_, 39)

ولكن هناك فضائل متنوعة تصدر كلها من فضيلة أساسية وهي قصدية الإرادة في طلب الخير لذاته، ويصرح كانط المبدأ لنظرية الفضيلة كالتالي:"اسلك حسب المسلمة التي تسمح لكل فرد أن يحدد لنفسه منها غايات وفق قانون

عام،وحسب هذا المبدأ فإن الإنسان هو غاية لنفسه ولغيره،أي عليه دائما أن يجعل من سلوكاته الإنسانية غاية عامة،متضمنة في الغايات الأخرى التي يطلبها مباشرة . (Kant,_ 39)

وهناك تمييز آخر بين نظرية الحق ونظريات الفضيلة حتى تتفق الحرية مع نفسها عليها أن تلتزم بقوانين الحق ،أما الإنسان الفاضل فيطلب بالإضافة إلى الاتفاق الخارجي الحرية،القناعة الباطنية لشمولية أفعاله،فيكون المبدأ الأعلى لنظرية الحق تحليليا،نستنبطه بمعرفتنا لشروط الانسجام بين الحريات. (Kant,_ 39)

هذه القناعة التي يتحدث عنها كانط امتلاكها واكتسابها يسميه شجاعة فهي تفترض قوة السيطرة على شروط الرغبة ، وبما أنها تتعلق بفعل الخير،فتصبح هذه الشجاعة فضيلة .

سادساً:**السياسة وعلاقتها بالحرية**

ربط كانط السياسة بالأخلاق في كتاب مشروع السلام الدائم ،ومن هنا يمكننا أن نسأل ما العلاقة بين الأخلاق والسياسة ؟ وكيف ربطها كانط بالحريّة الانسانية؟ (كرم،2012،285)

لقد نشر كانط في عام 1784 شرحا موجزا لنظريته السياسية تحت عنوان : المبدأ الطبيعي للنظام السياسي وعلاقته بفكرة التاريخ الدولي العام، وبدأ كانط هذا البحث بالاعتراف بالنزاع بين الفرد والمجتمع. (كرم،2012،285)

لقد أعجب كانط بالدستور الانجليزي،ولكنه بعد النظر في سياسته الخارجية غيّر رأيه حيث أن هذه السياسة التي مثلها آنذاك (وليم بت)لا تعمل على تشجيع الحرية والفكر ،بل على تمكين الاستعباد والبربرية في الدول الأخرى. (بدوي،1977،66)

كما أن هذا الدستور لم يكن يعطي حريّة التفكير للمواطنين بل يعمل على فرض قيود على المواطنين وتهميشهم في الدول الأخرى،وتمنّى كانط في أحلامه السياسية أن تصبح انجلترا بعد هزيمتها جمهورية،ويصبح ملك مجرد أمير من أمراء بلاطها،وحينها ستزدهر انجلترا من جديد دون أن تستعبد أحدا.(بدوي،1977،98)

والأساس الذي يمكن أن يقوم عليه هرم الحق هو القانون المدني العام الذي يستند بدوره إلى التفاعل المتبادل بين الحريات الفردية والحقوق، مثل استناده أيضا إلى حدود هذه الحريات في الواجبات،وهذه الواجبات ينبغي تأديتها من خلال الإكراه الخارجي الذي تجسده القوانين العامة ، كل ذلك من أجل قيام الوضع المدني، فالدولة هي اتحاد مجموعة من الناس في ظل قوانين حقوقية ،وهؤلاء هم مواطنون الدولة أو المواطن المدني يميزه حق الانتخاب،وهذه القدرة على التصويت هي صفة أشخاص أحرار .(Weil , 1970, 116)

سابعاً:**ضرورة السلام الدائم بين الدول**

نادى كانط للحد من الصراع بين الدول وأن نستبعد مفهوم الصراع بمفهوم السلام ،وذلك من خلال وضع اتفاقيات السلام بين الدول ليعمّ الأمن والاستقرار.

والطبيعة أرغمت الناس الذين ينتمون إلى رقعة جغرافية واحدة أن يخضعوا لقوانينها دون أن يتدخل الواجب،والحرب هي الوسيلة التي اتخذتها الطبيعة لبلوغ هذا الغرض. (كانط،1952،73)

فشروط السلام الأبدي التي دعا إليها كانط هي أن يكون الدستور المدني لكل الدولة دستورا جمهوريا تضع عليهم أعباء الحرب وينكوون بنارها بين السلم والحرب فإنهم سيختارون السلم حتما ، وبذلك سيختفي سيلان الدماء من العالم.(ديورانت،1988،364)

فالمجتمع المدني يقوم على الدستور المدني الذي يجب أن يكون في نظر كانط جمهوريا لأنه يعتبر الجمهورية تحترم مبدأ الحرية في اعتبار الناس أشخاصا،ومن هنا فإن الحرية شرط ضروري بين الأفراد وذلك للوصول إلى السلام بين الأمم عن طريق القانون.

والمهم في دولة القانون أن يكون الحكم مؤسسا على احترام حرية الإنسان وليس على الاستبداد الذي قد يمارسه حاكم ديمقراطي على محكوميه،ومنه فإن احترام القانون لا يمكن أن يتحقق إلا بالدستور التمثيلي. (Kant, 1975,16)

إلا أن القانون المدني غير كاف لتحقيق السلام لأنه قانون متعلق بمجتمع مستقل عن الدول المجاورة، لكن بما أن الاتصال والحوار بين الدول ضروري والتبادل بينها أمر طبيعي في عالم البشر مثلما أن التبادل والحوار أمر طبيعي بين الأفراد في المجتمع الواحد لأن الإنسان مدني بطبعه فإنه زيادة إلى الحق المدني الذي يسير المجتمع الواحد أو الحق الدولي بتأسيس فيديرالية الدول الحرة .(Kant, 1975,26)

يصوغ كانط الاتفاق القائم بين النشاط السياسي والأخلاق عن طريق اتحاد فيديرالي وهو اتحاد معطى قبليا و ضروريا حسب مبادئ الحق ،ويخضع هذا الاتحاد إلى معيار الحق ،وهو بهذا الشكل : " كل المسلمات التي تحتاج إلى إعلان عام حتى لا تفتقد هدفها تنسجم مع الأخلاق والسياسة وهي موحدة. (Kant,1975 , 84- 85)

إن مشروع السلام الدائم وكيفية طرحه من قبل كانط كان يحمل شيئا كبيرا من الجرأة، فهو يتضمن أفكارا كبيرة عن السلام،وكذلك أفكارا ثورية وبنّاءة لشخصية فلسفية يمكن أن تكون أفكاره ومشاريعه محط اهتمام مفكري العالم أجمع،فهي إحدى الصور المتمثلة حاليا في الواقع من المنظمات والهيئات الأممية المتحدة.

ثامناً:**الدولة في المنظور الكانطي**

تعدّ الدولة أهم هيكل يلقى فيه الانسان راحته ويحسّ بانتمائه ولكن هذه الدولة عقد اجتماعي نظر إليها كانط من عدة نقاط هامة هي:

1–الدولة:وهي التي تنشأ عن العقد الاجتماعي على هديّ من مبادئ الحق والحرية ،فلا بدّ أن يكون أي قانون تسنّه لينظم علاقات هؤلاء الأفراد مشروعا وحقا لأنه مستمد من الإرادة العامة، وليس من وضع فئة بعينها تحاول أن تشرّع مايخدم مصالحها، وأفضل نظام لتحقيق ذلك هو الجمهوري لأنه يقوم على فصل السلطة التشريعية عن التنفيذية(كانط،2009،438)

حيث يرى كانط أن الدولة تنشأ من خلال قيام الأفراد بتمثل مبادئ الحرية ومعرفتهم لحقوقهم التي تخدم مصالح الجميع دون أن تكون حكرا بفئة معينة.

2–القانون:هناك فكرة القانون السياسي للشعوب والقانون الكوني،بحيث لو كان أي قانون منهما يحدّ الحرية الخارجية بواسطة القوانين البناء الشكلي للقانون الآخر ينهار حتما ويتداعى في النهاية.(بدوي،1979،87)

فالمبدأ العام للقانون هو افعل خارجيا بحيث يمكن للاستعمال الحرّ لارادتك أن يتواجد مع حرية كل فرد طبقا للقانون العام، وهو مبدأ يضمن في آن واحد الاكراه الخارجي الذي يتعين على الدولة لسان حال القانون ، أن تمارس اتجاه الأفراد ، وحق مقاومة الفرد ضد الدولة، وحق الملكية الذي يعطي كل فرد دائرة ممارسة حريته. (برهييه،1993،294)

3–السلطات:يميز كانط في السلطة ثلاث أنواع:السلطة ذات السيادة ،وتقوم في الشخص المشرّع ،والسلطة التنفيذية وتقوم في شخص من يحكم (وفقا للقانون)،والسلطة القضائية (التي تنسب إلى كل واحد حقه وفق القانون) في شخص القاضي.(بدوي،1979،88)

ومن هنا يمجّد كانط الديموقراطية بوصفها النظام الامثل للحكم ،لأن صاحب الحق في التشريع هو إرادة الشعب لأنه لايمكن أن يضرّ نفسه وبالتالي فهو يسعى للخير دائما.

4–الحاكم: إن حاكم الدولة الملك،الرئيس هو الشخص(المعنوي أو الطبيعي)المزود بالسلطة التنفيذية،وهو فاعل الدلة الذي يعيّن الموظفين،ويبين للشعب القواعد بحسب القانون.(بدوي،1979،126)

فالحاكم هو ذو السيادة المطلقة برأي كانط وهو الذي يمثل الدولة ويسن القوانين التي تحفظ حرية الأفراد.

إن النظام الجمهوري يتميز بخصوصيتين،الأولى:هي استقلال السلطات الثلاث وعدم التداخل بين أعمالها،الثانية: هي الديمقراطية القائمة على التمثيل غير المباشر، ويؤكد كانط في فلسفته السياسية على انتخابه السلطة المقننة قبل أي شيئ آخر،هذا النموذج للحكومة المدنية الكانطية ليس نظاما استبداديا. (برلين،1989،28-20)

ولا حكومة مهزوزة وضعيفة،فالحكومة المدنية التي تتجسد في النظام الجمهوري لا بد أن تكون قانونية وقوية، ولربما تتأسس الحكومة المدنية على أساس العقد الأصلي. (المحمداوي،2015، 145).

لقد اهتم كانط بالفكر السياسي وصيغ بناء المجتمع وأنظمته الفكرية بصورة كبيرة من خلال المفاهيم والمتغيرات السياسية بين النظري والواقع، إذ أخذت أفكار وأبحاث كانط الفلسفية تستوعب المعاني والأفكار السياسية والتعاليم الحديثة والعلمية الناجحة،على صعيدي المجتمع والسياسة.

نتائج البحث:

من كل ما تقدم ذكره يمكننا أن نسجل أهم النتائج التي توصل لها البحث:

إن اختلاف المفاهيم التي يضفيها كانط على الحرية في فلسفته يؤدي إلى صعوبة الوصول إلى معنى موحد لها ، وهذا نتيجة صعوبة فهم فلسفة كانط نفسها لذلك نلمس بعض التعقيدات وأولها تتعلق بمضمون الحرية في حدود العقل الخالص وهو الاعتقاد بأن كانط يقرر أن الإنسان حر في هذا المجال (العقل الخالص).

1–ساق كانط حرية الإنسان مثالا لتوضيح نقطة معينة هي أن تصور الحرية وتصور العلية(السببية) لا يناقض أحدهما الآخر.

2– إن البرهان على وجود الحرية غير ممكن في عالم الطبيعة يجب أن نبحث عنها في عالم غير هذا العالم وهو عالم الأخلاق،عالم (الإرادة الحرة) فالانسان يصبح حرا عن طريق خضوعه للقانون الأخلاقي .

3–إن المفتاح لتحقيق السلام في المجتمع للدولة الواحدة وبين الدول المختلفة هو بيان حدود الحرية ، بالاستناد إلى التشريع الباطني للقانون الأخلاقي عن طريق الفضيلة.

4–إن اثبات حدود الحرية السياسية بين الأفراد هو مايحقق الدولة .

5–إن جوهر الحرية السياسية في الدولة يرتبط بشكل وثيق في وجود نظام جمهوري، بحيث يكون الواجب هو ضرورة القيام بالفعل انطلاقا من احترام القانون.

المراجع العربية:

1. بدوي،عبد الرحمن(1977):"امانويل كانط" وكالة مطبوعات الكويت ط1،الكويت.
2. بدوي،عبد الرحمن(1979) ايمانويل كانط فلسفة القانون والسياسة،وكالة المطبوعات،الكويت.
3. برلين، ايزايا(1989)أربع مقالات في الحرية،ترجمة محمد موجد،مطبعة الخوارزمي.
4. برهييه،إميل(1993)تاريخ الفلسفة،ترجمة:طرابش،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت،ط2.
5. جيدوري،صابر (1995):"الحريّة في بعض فلسفات التربية المعاصرة" رسالة ماجستير ،كلية معهد الدراسات والبحوث التربوية،جامعة القاهرة.
6. ديورانت،ويل(1988):"قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي" ترجمة فتح الله محمد المشقسع ،منشورات مكتبة المعارف،،ط6،بيروت.
7. زيدان،محمود(1967) كانط وفلسفته النظرية،دار المعارف،القاهرة.

8. شولتز،أوقفي(1975):"كانط" ترجمة أسعد زروف، ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
9. صليبا،جميل(1978):"المعجم الفلسفي" الجزء الأول،دار الكتاب اللبناني، بيروت.
10. فقيهي،علي بن حسين بن أحمد(2011):"مفهوم الحريّة" دراسة تأصيلية لنيل لنيل درجة الماجستير،كلية الشريعة بالرياض،قسم الثقافة الاسلامية،المملكة العربية السعودية.
11. كانط، عمانوئيل(1952):"مشروع السلام الدائم" ترجمة:عثمان أمين ،مكتبة الانجلو مصرية، ط1،القاهرة.
12. كانط،امانويل(2009)أنطولوجيا الوجود،ترجمة:جمال محمد سليمان،دار التنوير ،بيروت.
13. كرم،يوسف(2012):"تاريخ الفلسفة الحديث" دار المعارف،القاهرة.
14. لالاند،أندريه(2001):"موسوعة لالاند"تعريب:خليل أحمد خليل ،ج1، منشورات عويدات، بيروت.
15. محمد،محمود علي(1997):"الحرية في التربية عند جان جاك روسو"رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية ،جامعة دمشق
16. المحمداوي،علي عبود(2015)الفلسفة السياسية ،الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، دار الروافد الثقافية.
17.
18. **المراجع الأجنبية:**
19. Delbos, Victor(1969),La Philosophie pratique de Kant,P.U.F,Paris.
20. Kojève, Alexandre (1973), Kant , Gallimard , Paris.
21. Allison, Henry (1990) Kant's Theory of Freedom .
22. Benda, Julien (1948), Kant , Les trois collines , p. 2, Paris.
23. droit , trad. A. Philonenko (1971): J. Vrin, Paris.
24. Kant.E. Eléments(_) métaphysiques de la doctrine de la vertu, Jules Barnis,Paris.
25. Weil, Eric ,(1970)Proplems Kantiens, J. Vrin , Paris.
26. Kant(1975):" Projet de paix perpétuelle" , trad. J. Gibelin, J. Vrin, Paris.
27. Sapiro,G.(2006)"Responshbility and freedom : The foundation of starte's Concept of intellectual Engagement " Journal of Romance Studies,Vol .No.1.
28. Khemapanyo,Pharmaha Thanandom(2003):"An Analytical study of the Concept of liberty in Theravada Buddhist Philosophy", Master of Art(Philosophy).